اللفْظَةُ وَالمَعَاييرُ الّتي تُحَدِّدُ هويَّتَهَا بأنها لَهْجَة أو لَيْسَت لَهْجَة

م. م.علي حسين خضير
كلية الآداب –قسم اللغة العربية

المقدمة

الحَمْدُ لِلَّهِ الّذي مِن أيَاتِهِ اخْتِلافِ الألِسنَةِ وَالالوَان وَالصَلاةُ وَالسَلامُ عَلى أفْصَحِ الخَلْقِ وَأفْضَلهِمْ سَيدنَا مُحَمَّد الذي أكْرَمَهُ اللهُ بالحِكْمَةِ وَالبَيَان وَبَعْد ...لَقد حَظِيَت اللُغَةُ العَرَبيَةِ بجهودِ العُلَمَاءِ قَدِيماً وَحَديثاً مِن أجْل المُحَافَظَةِ عَلى نُطقِهَا سَليماً مِن شَوَائِبِ اللَحْن، نَقِيَّاً مِن مَظَاهِرِ اللَكْنَةِ ، وَارتَبَطَت تِلْكَ الجُهُود بظُهُور عِلُوم جَدِيدَةٍ لَمْ يَكُنْ للعَرَبِ عَهْدٌ بهَا في المَاضِي ،مِنْهَا عُلوم اللُغَةِ التي كانَتْ مِن سِمَاتِهَا الشمُول والاسْتِغْرَاق لِكُل جَوَانِبِ الدَّرْس اللُغَوي المَعْرُوفَة: (ألاصْوات ، وَالصَرْف ، وَالنَحْو، وَالمُعْجَم...) وَلَقد كَانَ لِعُلَمَاءِ العَرَبيةِ الدَوْر المُتَمَيز الذي يُشَارُ إليه بالْبَنَان في رفد هذه اللغة الغرَّاء بكل مايُعَزِّز قَوَاعِدهَا لِصَون القُرآن من اللحْن وَالخَطَأ وَالزَّلَل الذي قد يُفْضي الى اخْتِلاف المعنى، وقد نُظِرَ إلى هذا الجهد بأنَّهُ مِن الابْتِكَارَاتِ وَالإنجَازَات المُتَمَيزَةِ في الدَّرْس أللغَوي،لذا انتهجنا مَسَارَهُم في البَحْثِ والتنقير مِن أجْل المُحَافَظَةِ على اللُغَةِ العَرَبيةِ الجَميلَةِ وَالكَشْفِ عَمَّا هوَ مُشْكِل في نَظَرِ بَعْض النَّاس لَذا جَاءَ هَذا البَحْثُ مِن أجْل فَك بَعْض العِبَارَاتِ التي اكْتَنَفَهَا الغُمُوضُ في مَسْألَةِ الحُكْم على اللَفْظَةِ بِانَّهَا لَهْجَة أو لَيْسَت لَهْجَة .

اللَفْظَةُ وَالمِعْاييرُ الّتي تُحَدِّدُ هويَّتَهَا بِأَنهَا لَهْجَة أَو لَيْسَت لَهْجَة

إنَّ ظَاهِرَةَ الحُكْمِ على اللَفْظَةِ بِأنَّهَا لَهْجَة أو لَيْسَتْ لَهْجَة إنّمَا هيَ مَسْألَة لا بُدَّ مِن الوُقُوفِ عِنْدَهَا فَيْنَة مِن الزَمَن ،للإطِلاع على بَعْض مَا أوْرَدَهُ العُلَمَاءِ القُدَامَى والمُحْدَثُون مِن أقْوَال تَجْعَلُنَا نَعْرِف الضَوَابِطَ التي مِن خِلالِهَا يَسْهَلُ الحُكْمُ على اللَفْظَةِ أنَهَا لَهْجَة أو لَيْسَتْ لَهْجَة إنَّمَا هيَ مَسْألَة هوى لا تَمُتُ إلى الروايَةِ بِصِلَةٍ " وهي مِن غير شَكٍّ إذا أُخِذَتْ مَأخَذَ التَسْلِيم ظَاهِرَةٌ خَطِيرَةٌ لأنَهَا تُزَعزِعُ ثِقَتَنَا بِمَا يُقَال انَهُ لَهْجَةٌ إذ لا نَأمَن ألا يَكُون الأمْر كَمَا ذُكِر"(١) وَاللَهْجَةُ عِنْدَ العُلَمَاءِ الدَارسِينَ : هي مَجْمُوعَةٌ مِن المُمَيزَات اللُغَويّة ذَات نِظَامٍ صَوْتِي خَاص تَنْتَمي إلى بِيئَةٍ خَاصَةٍ وَيَشْتَرِكُ في هَذه المُمَيزات جَمِيع أفْرَاد تِلْكَ البِيئَة (٢)

وَالألْفَاظُ التي يَتَدَاوَلهَا النَّاسُ في حَيَاتِهم ضِمْنَ حُدُود اللَهْجَةِ الوَاحِدَةِ لَمْ تَكُنْ كَذَلِك اعْتِبَاطَاً وانّمَا جَرَت عَلَيْهَا تَغيرَات صَوْتِيّة مُخْتَلِفَة في صَوْتٍ مِن أصْوَاتِهَا أو أكْثَر وَلِذَلِكَ فأنَّ تَحْدِيدَ كَون اللَفْظَة الوَاحِدَة لَهْجَة أو لُغَة عَامَة يَجِب أن يَكُونَ ضِمْنَ مَقَاييس هَذِه التَغيرَات الصَوْتِيّة بَعْدَ اسْتِقْرَاء حَالات اسْتَعْمَالَهَا وَاسْتَقْصَائهَا مِن هُنا يُمْكِن القَوْل أن كَوْن اللفْظَة لَهْجَة مِن اللَهجَات لَيْسَتْ مِن بَابِ المِزَاج أو الرَغْبَةِ الذَاتيّة وَإنَّمَا يَكُونُ مِن بَابِ الروَايةِ التي وَرَدَت بِهَا تِلْكَ اللَفْظَةِ وَلا يَخْفَى أنَّ الروَايَةَ

هيَ الطَريقُ السَلِيمُ الَذي تُؤخَذُ به تَرَاكيب الألفَاظِ وَطَبيعَةِ مَوَاقِعِهَا في الكَلامِ العَرَبـــي ٠ وَمِن الأمْثِلَةِ التي يُمْكِن ان تَكُون فيهَا اللَفْظَةُ لَهْجَة وَقَد تَكُون مِن الإبدَالِ أو الضَرُورَة قَوْل طُفَيل الغَنَوي :

تُنِيفُ إذا اقْوَرَّت مِن القَوْدِ وَانطَوَت بهَادٍ رَفِيعٍ يَقْهَر الخَيل صَلْهَبِ

في هَذا البيت وَرَدَت لَفْظَة صَلْهَب التي قَالَ ابن جني فيهاَ " فَيَجُوز أن يكونَ الصَادُ فيه لُغَة ، ويَجوز أن تكون بَدلاً من سين سَلْهَب ، لأنَّهُ أكثر تَصَرُفَاً مِن صَلْهَب" (٣)

وقال أبو تمام٤ :

أريـني جـوَادَاً مَـاتَ هـزْلاً لأنَنِـي أَرَى مَـــاتَرَيْنَ اَو بَخـــيلاً مُخَلَّـــداَ

"قالَ ابنُ جني : يُريدُ لَعَلَني" أي: إنَّ العَينَ اسْتُبْدِلَ بِالهَمْزَةِ فَأَصْبَحَ لَفْظ (لَعَلْنِي) في البَيْتِ كَمَا أوَرَدْنَا آنفاً وَاسْتِبْدَالُ العَين بِالهَمْزَةِ وَرَدَت في كَثِيرٍ مِن الألفَاظِ اللَهجيَةِ عَن العَرَبِ وَفي هذا الصَدَدِ يَذْكُر ابنُ جني: " وقالوا : رَجُل إنْزَهْو ، أخْبَرَنَا بذلِك ابن مقِسم عن ثعلب ، عن اللحياني وقالوا أيضاً : عِنزهو فَجَائِزٌ أن تكون العَيْنُ بدلاً مِن الهَمْزَةِ وَجَائِز أن تكون أصْلَيْن" (٥) وَتَقُول في القَافيةِ : رَأيتُ سُعَاداً فأنتَ في هذه النُون بالخيار : انْ شِئْتَ قُلْتَ أنهَا نُونُ الصَرْف وَإنكَ صَرَفْتَ الاسْمَ ضَرُورَة أو على لُغَةِ مَنْ صَرَفَ جَميعَ مَا لا يَنْصَرِف(٦) كقوله تعالى: { سَلاسِلاً وَاغلالاً وَسَعيراً }(٧) وَان شِئْتَ جَعَلْتَ هَذه النُونَ في- سعادا- نُون الإنْشَادِ كقولِهِ(٨) :

دَانَيـــتُ أروَى وَالـــديونُ تُقْضَـــنْ فَمَطَلَـــتْ بَعْضَـــاً وَأدَّتْ بَعْضَـــن

وَكَذلِكَ قَول رؤبة العجاج(٩) : يا أبتا علَّكَ او عَسَاكُن

فَالنَظَرُ في مِثْل هَذه النُصُوص تَجْعَلُ القَارئ يُكْثِر مِن التَسَاؤل حَوْلَ الوَضْع الذي تكون فيه اللَفْظَةُ لَهْجَة وَالوَضْع الذي لا تكُون فيه لَهْجَة فَهَل هَذا يَكُون نَابِعَاً عَن هَوى نَفْس أم هوَ النَقْلُ والروَاية ٠

فَحينَمَا تُمْعِن النَظَرَ في النَص الذي قَالَهُ ابنُ جني في هذا الصَدَد تَجِدهُ مِعْيَاراً يفيدنا في جَميعِ مَا يَرِدُ عَلينَا مِن هَذا القَبيل قَالَ :

" وإذا وَرَدَ في بَعْض حُرُوفِ الكَلِمَةِ لَفْظَان مُسْتَعْمَلان فَالوَجْهُ وَصَحيحُ القَضَاءِ أن نَحْكُمَ بِأنَّهُمَا كليهمَا أصْلان مُنْفَردَان ليسَ وَاحِد مِنهُمَا أوْلى بالأصلية مِن صَاحِبِهِ ، فَلا تَزَال على هذا مُعْتَقِدَاً لَهُ حتى تَقُوم الدَلالَة على ابدَال أحَدِ الحَرْفَين مِن صَاحِبِهِ وَهذا عِيَار في جَميعِ مَا يَرِدُ عَلَيكَ مِن هذا فأعْرِفْهُ وَقِسْهُ تُصِب انْ شَاءَ الله " (١٠).

يُسْتَشَفُ مِن هَذا النَص مَا يأتي(١١) :-

أولاً- قد توحي الدلالَةُ على أنَّ اللفْظَةَ لَهجَة وَلا تَحْتَمِلُ غيرَهَا في أرْبَعَة مَوَاضِع :

١- <u>ورود نَص بِأنَّهَا لَهْجَة وَإنْ دَلَّ دَليلٌ على أنَّهَا كَانَت في الأصل إبدالاً</u> قَالَ بَعْضُهُم :{ بُحثِرَ مَا في القُبُور}العاديات/٨ ،أي: بُعْثِرَ وَكَذلِكَ ضَبَعَتْ الخَيلُ أي: ضَبَحَت قَالَ ابنُ جني :" العَرَبُ تُبْدِلُ أحَدَ هَذَين الحَرْفَين مِن صَاحِبِهِ لِتَقَاربهمَا في المَخْرَجِ"(١٢) لأنَّهُ سَمِعَ عَن العَرَبِ أنَّهَا كانت تُبْدِلُ أحَدَ هَذين الحَرْفَين مِن الآخَر" فَقَد سُمِعَت الحَاءُ في مَوضِعِ العَين مِن بُعْثِرَ ، وَالعَينُ في مَوضِعِ الحَاءِ مِن ضَبَحَت "(١٣)٠

والنَصُ الذي وَرَدَ هوَ مَا "رُويُ عَن عُمَرَ أنَّهُ سَمِعَ رَجُلاً يَقْرأ: عتى حين ،فقَالَ مَنْ أقرأكَ ، قالَ: ابن مَسْعُود فكَتَبَ إليه: إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أنْزَلَ هَذا القُرآنَ فَجَعَلَهُ عَرَبِيًّا ، وَأنْزَلَهُ بِلُغَةِ قُرَيش فَأقْرئ النَّاسَ بِلُغَةِ قُرَيش وَلا تُقْرِئُهُم بِلُغَةِ هُذَيل ، وَالسَلام" (١٤) فيُسْتَشَفُ مِن قَوْلِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(وَلاتُقْرِئُهُم بِلُغَةِ هُذَيل) على أنه نَصٌ يَدلُ على أنَّهَا لُغَة لَهُم فحتى وعتى كُلٌ مِنْهُمَا لَهْجَةٌ وَلكنَّ الأخْذَ يكون بالأكْثَرِ اسْتِعْمَالاً " وَهَذا جَائِزٌ وَغَيرُ خَطَأ" (١٥) فهي إذَن لَهْجَة وإنْ كَانَت في الأصْل إبدالاً ٠

٢- <u>كَثْرَةِ الألفَاظِ على المَعْنَى الوَاحِد</u>: وَرَدَ عَن الأصْمَعي انَّهُ قَالَ(١٦) :"اختَلَفَ رَجُلان في الصَقْر، فَقَالَ أحَدُهُمَا الصَقْرُ(بالصَادِ) وَقَالَ الآخَرُ السَّقْرُ (بالسين) فَتَرَاضَيَا بِأوَل وَارِدٍ عَلَيهِمَا فَحَكَيَا لَهُ مَا هُمَا فِيهِ فَقَال : لا أقولُ كَمَا قُلْتُمَا،إنَّمَا هوَ الزَّقْرُ٠٠٠" فَالتَعَددُ الذي حَدَثَ في الألفَاظِ التي تُطْلَقُ عَلى هَذا الطَائِرِ الأوْلى أنْ تَكُونَ لَهجَات لِجَمَاعَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ لأنَّهُ " كُلَّمَا كَثُرَتْ الألْفَاظ عَلى المَعْنَى الوَاحِد كَانَ ذَلكَ أوْلَى بِأن تَكُون لُغَاتٍ لِجَمَاعَاتٍ اجْتَمَعَت لإنْسَان وَاحِدٍ مِن هُنَا وَمِن هُنَا٠٠٠"(١٧)

٣- <u>أنْ يَكُونَ مَا ظَاهِرُهُ الإبْدَال في أقْوَامٍ مُخْتَلفين</u>:

قَرَأ ابْنُ مَسْعُودٍ (قُشِطَت) في (كُشِطَت) (١٨) التكوير/١١ فَالَذي يَسْمَع هَذا قَد يَتَبَادَر إلى ذِهْنِهِ إنَّ الَذي حَدَثَ هُنَا هوَ مِن الإبْدَال الَذي قَالَتْ بِهِ العَرَبُ حَيثُ وَرَدَ إنَّ العَرَبَ كَانَتْ تُبْدِلُ القَافَ مِن الكَافِ (١٩) إنَّ هَذَا الاحْتِمَال يَنْتَفي بُورودِ النَص الذي يَحْكُمُ عَلى انَّ كَلاً مِنْهُمَا وَرَدَ عَن أقْوَامٍ مُخْتَلِفين ، قَالَ ابْنُ جنِّي:" قَالَ الفَرَّاءُ : قُرَيشٌ تَقُولُ كُشِطَت ، وَقَيسٌ وَتَمِيمُ تَقُولُ قُشِطَت بِالقَافِ وَلَيسَت القَاف في هَذا بَدَلاً مِن الكَافِ لانَّهُمَا لُغَتَان لأقوَامٍ مُخْتلِفين "(٢٠)٠

٤- <u>أن يَرِدَ النَّصُ عَلى انِّهَا لَهْجَة</u> وَعِنْدَ ذلك يَنْتَفي احْتِمَالُ غَيرِهَا مَعَ إنَّهُ مُمْكِنٌ " قَد تَحْمِلُ الضَرُورَةُ الشَاعِرَ عَلى ان يَحْذِفَ أو يُسكِنَ مُتَحَركاً " مَعَ إنَّهُ كَانَ بِالا مْكَان ان يُقَالَ في قَوْل يَعَلى الازدي(٢١):

فَظَلْتُ لَدَى البَيتِ العَتِيقِ أخَيلَهو وَمِطْوَاي مُشْتَاقَان لَهْ أَرقَان

إنَّ سُكونَ الهَاءِ في (لَهُ) إنَّمَا وَقَعَ بِسَبَبِ الحَذْفِ الذي لَحِقَ الكَلِمَةَ لأجْل الصَنْعَةِ(٢٢) ٠ " وَقَد ذَكَرَ ابْنُ جنِّي في أوَل تَعَرُضِهِ للشَاهِدِ مَا يُوحِي بِأنَّهُ صَنْعَة ثُمَّ لَمْ يَلْبَث أن تَحَوّلَ عَن ذَلِك بِحَذرٍ " (٢٣) حَيثُ قَالَ :"... إنَّ أبَا الحَسَن حَكَى انَّ سُكونَ الهَاءِ في هَذا النَحْو لُغَة لأزْدِ السُرَاةِ "(٢٤) وَمِثْلَهُ مَا رُوِيَ عَن قُطْرُب مِن قَولَ الآخَر(٢٥) :

وَأشْرَبُ المَاءَ مَا بي نَحْوَهُ عَطَشٌ إلاّ لأنَّ عُيونَهُ سَيْلُ وَادِيهَا

وَلَكِنَّ الحَذَرَ يَتَلاشَى عِنْدَمَا قَالَ بَعَدَ تَعَرضِهِ لِبَيْتِ الازدي في مَوضِعٍ آخَر " فَهَاتَان لُغَتَان ،أعْنِي إثبَات الوَاو في اخيلهو وَتَسْكِينَ الهَاءِ في قَوْلِهِ :لَهُ لأنَّ أبَا الحَسَن زَعَمَ أنَّهَا لُغَة لازْدِ السُرَاةِ وَإذا كَانَ كَذَلِكَ فَهُمَا لُغَتَان وَلَيسَ إسْكَان الهَاءِ في (لَه) عَن حَذْفٍ لَحِقَ بِالصَنْعَةِ الكَلِمَةَ لَكِنَّ ذَلِكَ لُغَة" (٢٦)٠

ثانياً- قد تُوحي الدلالةُ على أنَّ اللفْظ دخلَه الإبْدالُ أو الضرُورةُ ، وَهَذا لا يُعَد لَهْجَة في مَوَاضِعَ:

١- أن يَكُونَ أحَدُ الحَرْفَين أعَمّ تَصَرُفاً في لَفْظٍ آخَر فَيُقَاسُ عَلَيه (٢٧) مِن ذَلِكَ قَولُ العَرَبِ : ثُوم وفُوم وَالمَعْنَى وَاحِدٌ وَكَذَلِكَ جَدَث وَجَدَف وَقَد سُمِعَ عَن العَرَبِ أنَّهَا تَقُولُ في العَطْفِ: قَامَ زَيْدٌ فُمَّ عَمْرو ، أي: ثُمَّ عَمرو، قَالَ ابْنُ جِنِّي " وَالفَاءُ بَدَلٌ فِيهِمَا جَمِيعاً الا تَرَى إلى سِعَةِ تَصَرِّفِ الثَّاءِ في جَدَث لِقَوْلِهم أجْدَاث وَلَم يَقولُوا اجْدَاف وَإلى كَثْرَة ثُمَّ وَقِلَة فُمَّ "(٢٨) ٠ فَيُسْتَشَفُّ مِن قَولِهِ هَذاإنَّ الثَّاءَ عِنْدَهُ أصْلٌ وَالفَاءَ بَدَلٌ كَمَا هوَ في ثُوم وَفُوم وَقَد نَصَّ عَلى البَدَلِيلَةِ في ذَلِكَ (٢٩) وَلَكِنَّهُ زَعَمَ هُنَاكَ أنَّ الفُومَ الحُنْطَةُ فَلا إبْدَالَ حَيثُ قَالَ " وَذَهَبَ بَعْضُ أهَل التَفْسِير في قَوْلِهِ عَزَّ اسْمُهُ: وَفُومِهَا إلى انَّهُ ارَادَ الثُّوم فَالفَاء على هَذا بَدَلٌ عِنْدَهُ مِن الثَّاءِ٠٠٠ وَالصَوَابُ عِنْدَنَا انَّ الفُومَ الحُنْطَة وَمَا يَخْتَبِزُ مِن الحُبُوبِ يُقَالُ فَومتُ الخُبْزَ أي: خَبزتَهُ وَليسَت الفَاء عَلى هَذا بَدَلاً مِن الثَّاءِ"(٣٠).

وَقَد تَرَاجَعَ ابْنُ جِنِّي عَن هَذا الرَأي في المُحْتَسب كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ الدكتور حُسَام النعيمي(٣١) وَمَعْنَى ذَلِكَ أنَّ الثُّومَ (بالثَّاءِ) هُوَ الأصْلُ وَالفُومُ (بالفَاءِ) جَاءَ على البَدَل ٠

٢- إذا كَانَ اللَفْظُ بأحَد الحَرْفَين أعَم تَصَرُفاً مِنهُ بِالحَرْف الآخَر: قَرَأ سَعِيدُ بن جُبَير: { ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن إعَاءِ أخيهِ}٣٢ سورة يوسف/٧٦ قَالَ ابن جِنِّي" وَسَألْتُ أبَا عَلي وَقْتَ القِرَاءَةِ فَقُلْتُ : هَلا أجَزْتَ أن يَكُونَ قَوْلهُم :إشَاح ، وَوشَاح لُغَتَين لان الهَمْزَةَ بَدَلٌ مِن الوَاو كَمَا تَقُول أكَّدت العَهْدَ وَوكّدته ؟ فَقَالَ: إجْمَاعهُم على موَشَح بلا هَمْز دَلالَة عَلى أنَّ الوَاوَ هي الأصْلُ وَلَم نَرَهُمْ اجْتَمَعُوا في مَوضِع مِن وَكَّدت عَلى الوَاوِ فَنَحْكُمُ بِأنَّ الهَمْزَةَ فيهَا بَدَلٌ مِن الوَاو وَهَذا صَحيحٌ " (٣٣) ٠

٣- ضَعْفُ اللَفظِ في القِيَاس وَانْتِفَاء ورود نَص على انَّه لَهْجَة قَالَ الشَمَّاخُ: (٣٤)

لَـهُ زَجَـلٌ كَأنَّـهُ صَـوتُ حَـادٍ إذا طَلَـبَ الوَسِـيقَةَ أو زَمِيُـر

فَقَوْلُهُ: كَأنَّهُ – بِحَذْفِ الوَاو وَتَبْقِيَةِ الضَمَّةِ – ضَعِيفٌ في القِيَاس وَالضَعْف هُنَا هوَ انَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلى حَدٍ لوصل وَلا عَلى حَد الوَقْفِ إذ ا الوَصْل يُحَتِّم عَليه إثْبَات الوَاو (لَقيتهو أمْس) وَالوَقْفُ يُحَتِّمُ حَذْفَ الوَاو وَالضَمَّة فيه جَميعاً وَتُسَكَنُ الهَاء فَيُقَالُ (كَأنَّهُ) فَضُّمُ الهَاءِ بغَير وَاو هي مَنْزِلَةٌ بَينَ الوَصْل وَالوَقْف (٣٦) " وهَذا مَوْضِعٌ ضَيِّقٌ وَمَقَامٌ زَلِخٌ لا يَتَقِيكَ بإينَاس وَلا تَرْسو فِيهِ قَدَمُ قِيَاس" (٣٧)

إذَن فَلَيسَ هَذا لُغَتَين لأنَّهُ لَمْ يَرِدْ لَنَا نَصٌّ يَدُلُ عَلى أنَّ حَذْفَ هَذِهِ الوَاوِ وَإبْقَاء الضَّمَة قَبْلَهَا لُغَة فَلا مُحَالَة ان يَكُونَ ذَلِكَ مِن قَبِيل الضَرُورَةِ وَالصَنْعَةِ ٠

إذَا كَانَ البَدَلُ غَيرَ مُلْتَزَمٍ في الكَلامِ المَنْقُول مِنْهُ فَلا يُعَدُّ لَهْجَة : قَالَ عَلْبَاءُ بن أرْقَم :

يَاقَاتَـلَ الله بَنِـي السـعلاتِ
عَمْرو بـن يَرْبـوع شِـرَارَ النَـاتِ
غَـير اعفَـاء وَلا اكيَـاتِ

يُريدُ بِقَولِهِ : النَاتِ : النَاس ٠ وَاكْيَاتِ : اكْيَاس ٠ وَقَد أبُدِلَت السِينُ تَاءً لأنَّهَا أخْتَهَا في الهَمْس وَقَد أبقَى الشَاعِر سِينَ (السِعَلاتِ) عَلى مَا هيَ عَليهِ قَالَ الدكتور حُسَامُ النعيمي :

" وَيَبْدو انَّ بَقَاءَ هَذه السين هُنَا هوَ الذي جَعَلَ كَانْتِينو يَذْهَب إلى انَّ التغيرَ في النَاس وَاكْيَاس لَمْ يَكُنْ تغيراً صَوْتِيَاً وَجَعَلَ ذَلِكَ لِمُقْتَضَيَاتِ القَافيَةِ أيْضَاً فَالأمْرُ كَمَا تَرَى تَغير نَاتِج عِن الأجَازاتِ الشِعْرِيَةِ" وَلَمْ يشِرْ الاخْفَش إلى بَقَاءِ هَذِهِ السِين ٠

وَهوَ يُعَقِّبُ عَلى الإبْدَال هَهُنَا إذ ذَكَرَ انَّهُ مِن قَبِيحِ البَدَل حَيثُ اسْتَثْقَلَ الشَاعِرُ الصَفِير في السين فَابْدَلَ مِنْهَا التَاء " (٣٩)

جَاءَ في النَّوَادِر عَن الأصَمَعي انَّهُ قَالَ : " انْشَدتُ الخَليلَ بن احَمْد قَول السَمَوأل :

يَنْفَعُ الطَيبُ القَليلُ مِن الرزق وَلا يَنْفَعُ الكثيرُ مِن الخَبيتِ

وَلِكُل مِن رزقِهِمَا قَضَى اللهُ وَلَو حَكَّ انَفْهُ المُسْتَمِيت

فَقَالَ لي : مَا الخَبِيتُ ؟ فَقُلْتُ : أرَادَ الخَبيثَ . وَهَذِهِ لُغَةٌ لِليَهُودِ يُبْدِلُونَ مِن الثَاءِ تَاءً قَالَ . فَلِمَ لَمْ تَقُلْ الكَتير ؟ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدي فيهِ شَيءٌ "٤٠ . قالوا صح ان الشاعر في الأمثلة السابقة قد أبدل حرفاً في القافية وقد تركه في حشو البيت حيث انه ترك السين على ما هي عليه في قوله (السعلات) في حين أبدلها في (النات واكيات) في قول علباء بن ارقم وفي قول السمؤال فقد بقيت الثاء في قوله (الكثير) بينما ابدلها في الخبيث . وعلى هذا فنقول : ان كان البدل غير ملتزم في كلام المنقول منه فلا يعد لهجة(٤١) .

ثالثًا- إذا لم تقم أي من الدلالتين جاز احتمال الأمرين

إذا أردنا تفسير ذلك لابد لنا من إعادة النظر إلى النصوص التي أوردناها سلفاً إذ إننا سنجد أنفسنا على بيان من ذلك الأمر ولا نخشى من الوقوع في أزمة اهتزاز الثقة بما يقال إنه لهجة أو غير لهجة فإذا انتفت الدلالة على انه لهجة أو على انه إبدال أو ضرورة أو غيرهما فان الجزم بأحد القولين مخالف للصواب عقلاً والاعتدال في ذلك هو احتمال الامرين أي يمكن أن يكون لهجة ويمكن أن يكون غير لهجة ولا دليل على قطيعة أحدهما ومن هذا نفهم قوله " قد عد الناس اللذ لغة في الذي ويمكن عندي أن يكون ذلك صنعة لا لغة" وقال د٠ حسام النعيمي: "أنظر إلى قوله : قد عد الناس ، فالناس ولا أراه يريد بهم إلا العلماء – قد عدوا ذلك لغة ولم ينقلوها رواية وما دام الآمر هكذا فأنه يجوز أن يدخل الرأي والقول بالصنعة " (٤٢) إذا لنا الحق أن نقول مثل ذلك في كلمة صلهب في بيت طفيل الغنوي وكذا القول في أنزهو وعنزهو وكذلك يدخل في هذا أن تعرف الكلمة بحرف في قوم الا انهم يستعملون الحرف الآخر في تصرفهم مما يورد احتمال كونها من الإبدال إلا ان شهرتها عندهم تجعل الاحتمال قائماً على أنها أصل ٠

أما قوله " تقول: في القافية رأيت سعاداً" فانه إشعار بجواز هذه العبارة في الشعر مما ظاهره انه خلاف القواعد في النثر ثم حاول توجيه ذلك بأن تعتقد انك حرفت ما لا ينصرف للضرورة وهذا وارد في الضرورات (٤٣) وكذلك تعتقد انك تكلمت على لغة من يصرف جميع ما لا ينصرف والمتكلم على وفق لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ (٤٤) ولك أن تجعله نون الإنشاد والذي هو نون

الترنم(٤٥) وقد علق بعض الدارسين المحدثين على هذه العبارة إذ قالوا: " ان كلامه كان على القافية وتقول في القافية٠٠٠ " وجوز في الكلمة ثلاثة أوجه وقد قال عن القافية : " القافية عند الخليل من آخر البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قيل الساكن وهي عند أبي الحسن آخر كلمة في البيت أجمع " (٤٦) فإذا قلنا في القافية رأيت سعاداً كما قال كانت القافية على رأي الخليل : عاداً وعلى رأي الاخفش : سعاداً ونحن فيها أمام وجهين في اللفظ :-

١- من غير تنوين وذلك من الاسم المنون في القافية إذا كان منصرفاً يذهب تنوينه للوقف (٤٧) فمن باب أولى ذهاب تنوين ما لم يكن منصرفاً في الأصل واذا ذهب التنوين صارت الكلمة (رأيت سعادا) بغير تنوين وحينئذ يكون الأولى أن تحمل الألف على إنها للإطلاق لان القياس على الأكثر أولى (٤٨) ، والأكثر ان تكون هذه الكلمة غير منصرفة فلا تحمل على الضرورة ولا تحمل على لغة من يصرف غير المنصرف في كلامه كله ، أما نون الإنشاد فلا مكان لها إلا في هذا الوجه لأنه قائم على عدم التنوين في اللفظ ٠

٢- ان تكون الكلمة (سعاداً) ببقاء التنوين : وحينئذ لا وجه لها إلا نون الانشاد ، والأولى ان تكون خلفاً من ألف على الإطلاق كما قدمنا ، وتكتب حينئذ نوناً على ما جرى عليه جمهور العلماء في كتابتها (٤٩) ٠

ضابط اللهجة عند الدكتور النعيمي

يَرَى الدُكْتُور حُسَامُ النِّعيمي إنَّهُ عَلى غَيرِ وِفَاق مع ابن جني في الطريقة التي كان يفكر بها فيما يتعلق بموضوع الحكم على اللفظة بأنها لهجة أو ليس لهجة إذ قال : "وجدتني وأنا أبحث في هذا الموضوع على غير وفاق مع ابن جني وأنا استخرج من كلامه الطريقة التي يفكر بها ولذا كان لا بد أن أورد ههنا وجهة نظري في ما يكون لهجة وما لا يكون " (٥٠) وتتلخص وجهة نظر الدكتور النعيمي فيما يأتي :-

إذا وردت لفظة بحرف – في لهجة منسوبة أو غير منسوبة – وهي بغيره في غيرها وقد اتحد المعنى فيهما إنما كان ذلك الإبدال في الأصل إبدالا وفي ذلك تجري محاولة تفسير ذلك الإبدال ، فإذا اتفق الحرفان أو تقاربا في المخرج أو الصفة كان ذلك هو الداعي إلى الإبدال ، وان لم جد بينهما ما يستدعي الإبدال من الناحية الصوتية ذكرنا قول فندريس بان " التغيرات الصوتية تقع على ما يبدو بطريقة آلية مستقلة عن إرادة المتكلم ، بل غير شعور منه ، ولكنها أيضاً تقع باطراد محدود من حيث المبدأ وتنوع محير في نتائجه "(٥٢) ٠

ويقول أيضاً في موضع آخر: "٠٠٠ ومع ذلك لا ينبغي أن نبالغ في أهمية الصوتيات إذ من النادر ان تستطيع وحدها تفسير كل شئ" ٠

ويستبعد من التصور أن تكون العرب قد وضعت لأحد المعاني لفظتين وخالفت بينهما في حرف واحد، وأعطت إحدى اللفظتين لهذه القبيلة وتلك لأخرى ، ومثال ذلك الاختلاف الذي جرى في لفظة (الصقر) حيث نطق به مرة بالصاد ويأتي آخر ويقول (سقر) بالسين فلابد من القول أن أحدهما هو الأصل والآخر بدل له قد التزم عند قوم لسبب ما " هذا على الالتزام بحسن الظن بالرواة والنقلة

، وبدقتهم في السمع والنقل، ولو ذهبنا إلى تجاوز ذلك إلى احتمال وقوعهم في الوهم وفي السماع والتصحيف في النقل فأننا يمكن أن نفسر به غير قليل مما أوردوه على أنه لهجات " (٥٣) ٠

أما إذا كانت اللفظة مترددة بين أن تكون لهجة أو ضرورة فأنا نحكم على أن تلك اللفظة قد جاءت على غير اللهجة المشهورة التي عليها اللسان الأدبي والا ما تنازعت مع الضرورة وعند ذلك نرى ان كان الناطق بتلك اللفظة ان لم يستشهد بكلامه كان الاولى أن يحمل على انه تكلم بتلك اللهجة غير المشهورة التي عليها اللسان الأدبي والا ما تنازعت مع الضرورة ٠

أما إذا كانت ممن لا يستشهد بكلامه كان الأولى أن يحمل على الضرورة لأنه متعلم للعربية وينبغي عليه الالتزام باللغة الأدبية الشائعة لأن الذي جاء بعد زمن الاستشهاد فإنما هو متعلم يردد ما قاله الأولون وان حدث تحول منه إلى غير ذلك فإنما كان بسبب ضرورة حملته على ذلك فان وردت اللفظة في الشعر بهذا الوصف عمن يستشهد بلغته ولم يأت أثر أو رواية في النثر وكانت وحدها المشير إلى اللهجة أو الضرورة ترجحت فيها الضرورة لان الشعر مظنة الضرورات إلا إذا وجد ما يعزز الميل فيها إلى أنها لهجة (٥٤) .

الخاتمة

الحَمْدُ لِلهِ الَذي أنْزَلَ القُرْآنَ الكَرِيمَ هُدَى وَرَحْمَة للعَالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد...

فقبل ان اسدل الستار على هذا البحث لابد لي من وقفة اخيرة..افصح فيها عن اهم ما امكن الحصول عليه من نتائج التي احسب انها على جانب من الاهمية وكان ابرزها :

١ – ازالة الغموض والوهم عن بعض عبارات العلماء التي قد يفهم منها ان القول بان هذه اللفظة لهجة او ليست لهجة انما هو مسالة هوى لا مسالة رواية ، وقد جرى ذلك من خلال الرجوع الى تفسير المحدثين لتلك النصوص.

٢– بسطنا القول في المعيار الذي تُضْبَط فيه اللفظة عند الدكتور حسام النعيمي في كونها لهجة او من الابدال او من غيره ... ، واخيرا لا ادعي لبحثي هذا تمام القول ،ولا اقول اني قد جئت بجديد، وما ابرىء نفسي من الاخطاء، وحسبي اني قد بذلت فيه جهد ما استطعت والحمد لله في الاولى وفي الاخرة

. الهوامش .

١ –الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني /٨٧ .
٢ – ينظر:فقه اللغة د.حاتم الضامن /١٠ ،وعلم اللغة /٣٢،ولهجة تميم واثرها في العربية الموحدة /٢٩ .
٣ – سر صناعة الاعراب ١ / ٢١٨ .
٤ – ديوان ابي تمام /
٥ – سر صناعة الاعراب ١ / ٢٤١ .
٦ – هذه لغة حكاها ثعلب على ما في الاشموني والتصريح في اواخر ما لا ينصرف .وحكاها الاخفش على ما في الهمع ٣٧/١ ،وقال :(وكأن هذه لغة الشعرآء لانهم قد اضطروا اليه في الشعر ، فجرت السنتهم على ذلك في الكلام) وانظر : البحر المحيط لا بي حيان ٣٩٤/٨ .
٧ – سورة الانسان / ٤
٨ – الكتاب لسيبويه ٣٠٠/٢ .

٩- انظر: الكتاب ٣٨٨/١ ، ٢٩٩/٢ . وفي الخزانة ٣٣٤/٢ .
١٠- سر صناعة الاعراب ٢١٩/١ .
١١- جاء الاستشفاف بعد العودة والدراسة لما قاله د.حسام النعيمي في كتابه الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني /٨٧ – ٩٥ .
١٢- المحتسب ٣٤٣/١ .
١٣- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني /٩٢ .
١٤- المحتسب ٣٤٣/١ .
١٥- المحتسب ٣٤٣/١ .
١٦- الخصائص لابن جني ٣٧٥/١ .
١٧- الخصائص لابن جني ٣٧٥/١ .
١٨- ينظر: البحر المحيط ٤٣٤/٨ ، والجامع لاحكام القرآن ٢٣٥/١٩ ، وتفسير الكشاف ٢٢٣/٤ .
١٩- ينظر: سر صناعة الاعراب ٢٧٨/١ .
٢٠- ينظر سر صناعة الاعراب ٢٧٨/١ .
٢١- الخزانة ٢ /٤٠١ .
٢٢- ينظر الدراسات اللهجية والصوتية /٩٢ .
٢٣- ينظرالدراسات اللهجية والصوتية/ ٩٢ .
٢٤- الخصائص ١٢٩/١ .
٢٥- الخصائص ١٢٨/١ .
٢٦- الخصائص ٣٧١/١ .
٢٧- الدراسات اللهجية والصوتية/ ٨٨ .
٢٨- الدراسات اللهجية والصوتية / ٨٨-٨٩ .
٢٩- ينظر سر صناعة الاعراب ٢٥٢/١ .
٣٠- سر صناعة الاعراب ٢٨١/١ .
٣١- الدراسات اللهجية والصوتية /٨٨ .
٣٢- ينظر: التبيان للعكبري٣١/٢ ، والبحر المحيط ٣٣٢/٥ ، والكشاف ٣٣٥/٢ ،والمحتسب ٣٤٨/١ .
٣٣- المنصف ٢٣٠/١ .
٣٤- الديوان ٣٦، وينظر :الكتاب:١١/١ ،الخصائص ٣٧١/١ .
٣٥- الخصائص ٣٧٢/١ .
٣٦- الخصائص ١٧٨/١، ٣٧٢ .
٣٧- الخصائص ١٢٩/١ .
٣٨- الخصائص ٣٧٢/١ .
٣٩- ينظر : دروس في علم اصوات العربية/ ٧٣ .
٤٠- النوادر في اللغة : لا بي زيد الانصاري /١٠٤ .
٤١- الدراسات اللهجية والصوتية /٩١ .
٤٢-الدراسات اللهجية والصوتية /٩٤ .
٤٣- الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر/ ١٣٤ .
٤٤- الخصائص ١٢/٢ .
٤٥- القوافي: لابي الحسن الاخفش/ ١١٠ .
٤٦- مختصر القوافي لابن جني/ ١٩ .
٤٧- القوافي/ ١٠٦ .
٤٨- المنصف ٩٥/٢ .
٤٩- القوافي١٠٥-١٠٦ .
٥٠- الدراسات اللهجية والصوتية/ ٩٥ .

٥١- اللغة/٣٧٨ .
٥٢- اللغة/ ٢٧٣ .
٥٣- الدراسات اللهجية والصوتية/ ٩٥ .
٥٤- الدراسات اللهجية والصوتية/ ٩٥ .

. المصادر والمراجع .

*-البحر المحيط: لا بي حيان الاندلسي ، ط السعادة بمصر ١٣٢٨ هـ
*-التبيان في اعراب القرآن : العكبري،تحقيق البجاوي ، البابي الحلبي بمصر ١٩٧٦ .
*- الجامع لاحكام القرآن : لابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي،ط /٥ ،دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ١٤١٧ هـ -١٩٩٦ م .
*- خزانة الادب البغدادي ، ط ١ ، المطبعة الاميرية بولاق مصر .
*- الخصائص : لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، ط دار الكتب المصرية ١٩٥٢ هـ .
*- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : د. حسام النعيمي ،دار الرشيد للنشر ١٩٨٠ .
*- دروس في علم اصوات العربية : جان كانتينو ، تعريب صالح القرماوي، تونس ١٩٦٦م .
*- ديوان الشماخ : تحقيق صلاح الدين الهادي ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨ .
*- سر صناعة الاعراب : لابن جني ، تحقيق مصطفى السقا وجماعة ١٩٥٤م والجزء الثاني ، تحقيق احمد رشيد سعيد محمود ١٩٧٥م .
*- الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر -محمود شكري الالوسي، ط مكتبة دار البيان ودار صعب بالاوفست .
*- علم اللغة : د. محمود السعران - دار المعارف -١٩٦٢ م .
*- فقه اللغة : د. حاتم صالح الضامن ، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد .
*- القوافي : لابي الحسن الاخفش ، تحقيق د .عزة حسن ، ط دمشق ١٩٧٠م .
*- الكتاب : لسيبويه ،تحقيق عبد السلام هارون ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .
*- الكشاف: تفسير الكشاف للزمخشري ،مطبعة الحلبي بمصر١٩٥٤ .
*- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة :غالب فاضل المطلبي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد العراق ١٩٧٨ م .
*- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات:لابن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف وصاحبيه ،ط القاهرة ١٣٨٦هـ .
*- مختصر القوافي: لابن جني ،تحقيق د. حسن شاذلي فرهود ، ط١ ١٩٧٥م .
*- المنصف:لابن جني ،تحقيق ابراهيم مصطفى و عبد الله امين ١٩٥٤ .
*- النوادر في اللغة : لابي زيد الانصاري ، ط ٢ ١٩٦٧ .
*- همع الهوامع شرح جمع الجوامع: لجلال الدين السيوطي ،ط بالاوفسيت عن الطبعة المصرية .